**الفصل الثاني: الخصائص الفنية في صدر الإسلام**

**توطئـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة:**

إن ما يتسم به التغيير اليومي في مظاهر الحياة من مأكل و مشرب و ملبس وسلوك... لا يخرج عن نطاق السهولة و البساطة ، و لا يجد مقاومة تذكر بل و ربما وجد الترحيب و التشجيع على عكس ما نجده في المجال الفني و الأدبي لأنه متعلق بموروثات متأصلة على مر العصور، فليس من السهل أن يتخلى الشاعر عن أسلوبه الفني ، و يتخذ آخرا، و لا ينتقل من قالب موسيقي إلى سواه، و لكنه يمزج بينهما ، و يواكب القديم دون تفريط في الجديد. إن التغيير الهائل في حياة العرب استلزم تواري الشعر الجاهلي بسماته الخاصة و أغراضها الثابتة نوعا ما، و إفساح المجال للشعر الإسلامي. و يتجلى التجديد في الشعر الإسلامي من خلال المعاني و الأفكار المستمدة من القيم والمثل الجديدة التي غرسها الإسلام ، و لذا نلاحظ أن الشعراء المسلمين قد تناولوا معان و أفكار تختلف عما كانت فيه في الجاهلية حسب الأغراض و الموضوعات. أثر الإسلام على الحياة الأدبية تأثيرا واضحا، فظهرت أغراض جديدة لم تكن معروفة من قبل ، كما اكتسبت بعض الأغراض القديمة رونقا إسلاميا.

و سنقوم في هذا الفصل باستعراض مظاهر التجديد في كل مجال على حدة.

**المبحث الأول :البـــــــناء الفـــــني الداخـــــلي للقصــــيدة**

**المطلب الأول : الموضوع**

إن المتأمل في شعر الشعراء المخضرمين في صدر الإسلام ، يدرك من الوهلة الأولى السمة الطاغية على أغلب القصائد و هي الوحدة الموضوعية و التي تولدت من وحدة الغرض الشعري نفسه ، فشعر هذه الفترة الزمنية كان أغلبه شعر مقطوعات أي لم يتجاوز في أغلبه العشرة أبيات و هذا القصر في القصيدة بتر تعدد الموضوعات في حين نجد أن القصائد الطوال حافظت على سننها الجاهلية في ذلك .

و قد تباينت آراء النقاد حول تجديد مصطلح موضوعات القصيدة العربية فمنهم من يسميها أغراض الشعر و منهم من يسميها بيوت الشعر و منهم من يسميها أركان الشعر .

لم يقل الشعراء المخضرمون في صدر الإسلام في كل الأغراض التي كانوا يخوضون القول فيها في الجاهلية ، فقد اختفت من شعرهم الأغراض التي تصور طيش الشباب ، و نزوات النفس كالغزل الحسي الفاحش ، الهجاء المقذع ، الخمريات ، لأن تعاليم الدين الجديد كانت محرمة لتلك النزوات في مقابل ذلك قويت أغراض شعرية أخرى . فشاعت و ذاع صيتها بين الشعراء لأن الحياة آنذاك اقتضتها كالمـــدح و الهـــجاء و الرثــــاء ...و هذه الأغراض هــــــــي: أ- الوعظ ونشر العقيدة: إن الشاعر الإسلامي قد أصبح ينظم شعرا حافلا بالقيم التي تشبع منها بفضل هذا الدين الجديد ، و من قصيدة للنابغة الجعـــدي الصحابي قوله (1): الحمــد لله لا شريـــــــــــــــــــــــك لــــه من لم يقلها فنفسه ظلمــــــــا المولج الليل في الـــــــنهار وفي الليل نهارا يفـــرج الظلمــــــــــــــا الحافظ الرافع السماء على ال أرض ولم يبــــــــن تحتها دعما الخالق البارئ المصور في ال أرحــــــــام ماء حتى يصير دما

1واضح الصمد ، أدب صدر الإسلام)مرجع سابق( ،ص 115 ،116

من نطــــــــــــــــــــــــفة قــــــدها مقـــــدارها يخلق منها الابشار و النسما ثم عظاما أقامـــــــــــــــــــها عــصـــب تمت لحـــــــــما كساه فالتأمــــــــــــــا يا أيها الناس هل تــــــــــرون إلى فارس بادت وخها رغــــــــــــــمــــا أمسوا عبيدا يرعون شــــــــــــاءكم كأنما كان ملكهم حلــــــــــــــمـــــا فنلاحظ أن ما ينظمونه من شعر ليس إلا ترجمة حرفية لآيات القرآن الكريم ، فالبيت الأول كأنه ترداد للآية الكريمة :" و إذ قال لقمان لابنه وهو يعظمه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم "1 البيت الثاني ما هو إلا صدى للآية الكريمة :

(2)" تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل.

و البيت الثالث يتلاءم مع الآية القرآنية :

"خلق السماوات بغير عمد ترونها القي في الأرض رواسي ".3

سورة لقمان ،الآية 14. (1)

سورة آل عمران ،الآية 27.(2)

سورة لقمان ، الآية 11.(3)

و أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، قدم إلى رسول الله صل الله عليه وسلم ، فأسلم و حسن إسلامه ، و هو شيخ كبير و هو الذي يقول : يا بني الأرحام لا تقطــــعوهـــــــا وصلوها قصيرة من طوال

واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غيرالحـــــــــلال

ثم مال اليتيم لا تأكـــــــــــــلوهــــــــا إن مال اليتيم يرعاه الــــــــي

يا بني التخرم لا تخــــــــــــزلــــوها إن خزل التخوم ذو عــــــــقـــــال

يابني الأيام لا تأمنـــــــــــــــــــــونهــــــــــــا واحذروا مكرها ومر الليالي

واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحــــــــــلال

إن أبا قيس يعظ أبناءه ، و كذلك جميع الناس بالمحافظة على صلة الأرحام و المحافظة على أموال اليتامى، و عدم ظلم الجار، و عدم الاطمئنان إلى صروف الدهر، ثم يطلب أخيرا التعاون على البر و التقوى و البعد عن الفحشاء و الاعتماد على الحلال و جميع هذه العضات هي ضمن العقيدة الإسلامية و الوحي القرآني .

هذه بعض النماذج عن الوعظ والإرشاد عند الشعراء في بداية العهد الإسلامي و الملاحظ هنا هو شدة تأثير العقيدة الجديدة عليهم، كما أنه من الجدير بالذكر عمل هؤلاء الشعراء على نشر المبادئ الإسلامية عن طريق أشعارهم لما له من تأثير في نفوس العرب .

ب- الفخر والمديح :

من الملاحظ أن شعر المديح في تلك الحقبة جاء في معظمه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ،فاتخذوا بذلك منحى جديدا توجهوا به إلى مدح الإسلام المتمثل في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم و الابتعاد عن مضامين المديح التي كانت سائدة في العصر الجاهلي التي كان مجالها الأنا أو القبيلة أو أحد أبنائها أو أصحاب الأموال طمعا بها.

وقال كعب بن مالك الأنصاري1 :

من المرجع السابق ، ص 120.(1)

يذود ويحمي عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليـــــــــــــد

وينصره في كل أمر يــــــــبريــــه يجود بنفس دون نفس محمـد

يصدق بالإنباء بالغيب مخلصا يريد بذلك الفوز والعز في غد

نلاحظ أن كعبا في هذه الأبيات يفتخر بقومه الذين يذودون عن رسول الله باللسان و السنان و الأنفس ، و هدفهم في ذلك نيل رضا الله عز وجل و الفوز بالجنان .

كما ينسب إلى سعد بن أبي وقاص أنه قـــــال 1:

هل أتى رسول الله أني حميت صحابتي بصدور نبلي

أذود بها أوائلهم ذيـــــــــادا بكل حزونة وبكـــل ســــــــــــــــــــــهــــل

فما يعتـــــد رام في عـــــــدو بسهم يارسول الله قـــــــــــــــبـــــــلــــــــي

وذلك أن دينك دين صدق ذو حــــــــــــــــــــق أتــــيت به وعـــــــدل

فهذه الأبيات يتساءل فيها سعد إن كان خبر ذوده عن الحمى قد وصل إلى رسول الله ،مفتخرا بشجاعته و إقدامه و اعتزازه بأنه أول من رمى سهما من المسلمين ، و ذكر الدافع في ذلك و هو الإيمان الإسلامي .

ج- الجهاد و المعارك :

قال تعالى : " يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين و أغلُظ عليهم...."2

فالجهاد أحد الفروض في الدين الإسلامي و قد ثبت بالكتاب و السنة، من خلال حث النبي صل الله عليه وسلم على الجهاد بالقول و الفعل ، وبما أن الشعر كان لصيقا بالحياة الاجتماعية فهو لم يكن بعيدا عن الصراع حتى أنه يمكن القول أنه كان المحفز للكثير من المعارك في بعض الأحيان، و كان من نتائج ذلك بروز المناقضات بين الشعراء المسلمين و المشركين وتعتبر الأحداث الكبرى في تلك الفترة من أهم عوامل ازدهار الشعر و ظهر الطابع الديني في شعر الشعراء المسلمين أكثر، و أضحى الشعر سجلا لتصوير المعارك و الغزوات ، و من أهمها غزوة بدر الكبرى .

. من المرجع السابق ، ص 119(1)

سورة التوبة ، الآية 73.(2)

قال حسان بن ثابت1:

وخبر بالذي لا عـــــــــــــيب فيـــه بصدق غير أخبــــــــــــار الكذوب

بما صنع المليك غداة ـبــــــــدر لنا في المشركين من النصيب

فغادرنا أبا جهل صــــــــــــــــــريعا وعتـــــــــــــــــــــــبة قد تركنا بالجيوب

يناديــــــــــــــــــــــــــهم رسول الله لمـــا قذفناهم كباكب في القـــــــــــــليب

فما نطقوا،ولو نطقوا لقالـــــــوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

... و من الشعر المتعلق بالجهاد ما قيل في مفارقة الزوج لزوجته للاشتراك في الجهاد، فهذا النابغة الجعدي يتأهب للجهاد ، فتجزع زوجته و تحاول أن تصرفه عن ذلك فيعاتبها قائلا:

يا ابنة عمي كتاب الله أخرجني كرها وهل امنعن الله ما فــــــــــــــــــــــــعلا

فإن رجعت فرب الناس يرجعني وان لحقـــــــــــــــــــــــــــت بربي فابتغي بدلا

ماكنت أعرج أو أعمى فيعذرني أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

و لابد من التعريج على شعر الفتوحات فلقد كان لخروج المسلمين إلى فتح الدول المجاورة و صراعهم مع الروم والفرس أثر في ظهور نمط جديد يصف المعارك و بسالة الحروب و البلدان الجديدة ...

و من أمثلة ذلك : "أبو محجن " الذي كان في سجن "سعد بن أبي وقاص" رضي الله عنه لإدمانه شرب الخمور مع أنه كان من الشجعان الأبطال في الجاهلية و الإسلام ، و بعد ما أصاب المشركون من المسلمين شارك في معركة القادسية ، و أنشأ يقول 2 :

وليلة قــــــادس لم يشعروا بي ولم أشعر بمخـــــــــــرجي الزحوفا

فإن أحـــــبس فقد عرفوا بلائي وان أطلق أأجرعهم حـــــــــــــــــــتوفا

و من أبطال القادسية كذلك القعقاع بن عمرو الذي يقــــــــــول 3:

من المرجع السابق ، ص 123. (1)

نفس المرجع ، ص 124.(2)

نفس المرجع ، ص 124،125.(3)

وما خام عنها يوم سارت جموعنا لأهل قديـــــــــــــــــس يمنعون الموالي

فان كنت قاتــــــــــــلت العدو فلـــــلــــته فإني لألقى في الحروب الدواهيا

فيولا أراها كالبيوت مــــــــــغيـــــــــــــــــــرة أسمـــــــــل أعـــــــــــيانا لـــــــــــــــها ومـــآقـــيا

هذه بعض الإشارات الخفيفة لنماذج من الجهاد و الفتوح و الذي تنبض به كتب الأدب و التاريخ و الجغرافيا و السير ، كما يصور لنا الهجرة إلى البلاد المفتوحة ، و الكثير من المراثي للمفقودين في تلك المعارك و الحروب .

د – الرثاء :

بعد أن كان الرثاء في الجاهلية عبارة عن لطم للخدود، و شق للجيوب ، و أسى في القلوب ،و ذرف للدموع، و وعد بالانتقام و الثأر، و إيقاد للنزعات الطائفية و النعرات القبلية ، فقد تغير الحال في الإسلام بشكل واضح و صريح نتيجة العقيدة الجديدة التي زرعت في نفوس أهله ، فجعل للحداد و البكاء على الميت ضوابط شرعية ، و أصبحت الشهادة في سبيل الله من أسمى المطالب ، و لعل الخنساء لهي أول الشعراء في ذلك إذ بذلت دموعها و شبابها في الجاهلية في بكاء أخيها، أما في الإسلام فنجدها قد قالت مقولتها الشهيرة عند سماعها بخبر استشهاد أبنائها الأربع "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ".

فنجد شعراء المسلمين قد رثوا شهداء المعارك بأبلغ المعاني فها هو كعب بن مالك يرثي شهداء أُحد بقوله 1:

وقتلاهــــــــم في جنان النــــــعيم كرام المــــــــــــــــــداخل والمخرج

بما صبروا تحت ظـل اللواء لواء الرسول بذي الاضوج

فكلهم مــــــــــــــــــــــــــــات حر البلاء على مــــــــــــــــــــلة الله لم يخرج

أما عند وفاة النبي صل الله عليه وسلم، فقد كانت الفاجعة كبيرة والمصاب جلل ، وقد عبر معظم الشعراء المخضرمين عن هذه المصيبة العظيمة ، فقد قال حسان بن ثابت 2:

من المرجع السابق ، ص 127.(1)

نفس المرجع ،ص 128.(2)

بطــــــــــيبة رسم للرســـــــــــــــول ومعهد منير ،وقد تـــــــــــــعفو الرُسوم وتهمد

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

بها حجرات كان ينزل وســـــــــــطها من الله نور يستضاء ،ويــــــــــــــــــوقــــد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل القــــــــــبر الذي فيه احمـــد

عزيز عليه إن يحيدوا عن الهدى حريص على إن يستقيموا ويهتدوا

عطوف عليهم ،لا يثنـــــــــــــــي جناحه إلى كنف يحنو عـــــــــــــــــــــليهم ويمهد

و كذا الأمر عند وفاة الخلفاء الراشدين ،فجاء رثاؤهم تعدادا لخصالهم و مناقبهم و هم صحابة رسول الله و خلفاؤه في أمور المسلمين بالإضافة إلى رثاء الأشخاص العاديين ، فقد كان الرثاء غرضا من أغراض الشعر في صدر الإسلام إلا أنه قد أضيفت إليه بعض المعاني الجديدة التي لم تكن معروفة الجاهليين كالإلتقاء في الآخرة مع الأحباء ، و النعيم الذي يعيش فيها الشهداء إلى جوار ربهم مع النبيين و الصديقين .

ه – الهجاء :

يعتبر الهجاء من الأغراض القديمة في الشعر العربي منذ الجاهلية و كذا في الإسلام، فلقد كان العداء المتأصل بين المسلمين و المشركين قضية هامة في موضوع هذا الغرض، و من أشهر الشعراء الذين استلموا هذه الراية بعد أن سمح لهم النبي صل الله عليه وسلم ،حسان بن ثابت ، كعب بن مالك و عبد الله بن رواحه ، و اتخذوا من كفر خصومهم و الوقائع و المآثر حججا عليهم، أما عن الحدود التي رسمها الإسلام للهجاء فتتلخص في الآية الكريمة :

"فــمــن اعتـــدى عليـــكم فاعتـــدوا عليـــه بمــثل ما اعتــدى علــيــكـــم "

وبما أن الشعر في تلك الفترة هو الأبلغ والأنجع في تأدية الرسالة فقد كانوا يحمون به أعراض المسلمين من هجوم خصومهم باللسان ومن أمثلــة شعر الهجـــاء ما يـــلي: قول "أبي جهل " أثناء معركـــة بــدر الكـــبرى 1 :

من المرجع السابق ، ص 133.(1)

ما تنقم الحرب الشموس مني بازل عامين حديث سني

لــــمثــل هـــذا ولـــدتــني أمـــي

و كان أن قتل أبو جهل فيمن قتل في تلك المعركة، فقال حسان بن ثابت :

فغادرنا أبا جهل صريــــعا وعُتبة قد تركنا بالجبــــــــــــــــــــوب

وشيبة قد تركنا في رجال ذوي حسب إذا نسبوا حسيب

يناديهم رسول الله،لـــــــــــــــما قذفناهم كباكب في القـــــــــــليــب

فما نطقوا،ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

و كما أنه من الجدير بالذكر أن العديد من القصائد التي قيلت في هجاء المسلمين سواء من طرف اليهود أو المشركين فقد غض الطرف عنها، إما عن رغبة من أصحاب تلك الكتب إما إن قائليها قد دخلوا الإسلام و تحرجوا من رواية تلك الأشعار في إسلامهم.

أما في عهد الخلفـــاء الراشـــدين ، فنــجد أنــه نشــط في خلافة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في موقــــعة " الجمــل "، و "صفيـــن" .

...و هكذا رأينا فن الهجاء في الشعر الإسلامي كان نشطا منذ بداية الدعوة الإسلامية تارة بين المشركين و المسلمين ، وطورا بين اليهود و المنافقين و المسلمين، و أخرى بين المسلمين بعضهم لبعض حين انقسموا على أنفسهم شيعا و أحزابا ، و كــــان يغلب على أهاجيهم الأسلوب الجاهلي تزركشه بعض الألفاظ و المعاني الإسلامية و التي أخذت مع الزمــــــــن تنموا شيئا فشيئا حتى عصر بنـــــي أمية 1.

من المرجع السابق ، ص 138.(1)

**المطــــلب الثاني: الأسلوب**

اللغـــة: بقدوم الإسلام تحضر كثير من الشعراء و انصرفوا بشعرهم الى التعبير عن تجارب جديدة ، بعضها عاطفي و بعضها سياسي أو اجتماعي ، فقد أصبحت الراحلة " النوق" مجرد وسيلة للانتقال من البادية إلى الحاضرة أو من حاضرة إلى أخرى منشغلا بتجارب و مشاعر تستهويه أكثر على عكس الشاعر الجاهلي الذي بلغت عنده مكانة المؤنس.

و هكذا بدأ يختفي من الشعر الإسلامي قدر كبير من تلك الألفاظ الوصفية حتى عرفت بعد حين بأنها "من الغريب" الذي لا يفهمه أغلب الناس ، و رق أسلوب الشاعر بالضرورة ، إذ أصبح حسه اللغوي و الفني أكثر ترفا، فتجنب كثيرا من ذلك التركيب اللغوي الذي كان النقاد يعبرون عنه "بالجزالة" كما تجنب كثيرا من الألفاظ التي لم يعد إيقاعها يناسب الحنجرة أو الأذن الحضرية ، و عن هذا التطور اللغوي الحضاري يقول صاحب "الوساطة بين المتنبي و خصومه": ‹‹ فلما ضرب الإسلام بجرانه ، و اتسعت ممالك العرب ، و كثرت الحواضر و نزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب و التظرف،اختار الناس من الكلام ألينه و أسهله و عمدوا إلى كل شيء بأسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعا و ألطفها من القلوب موقعا، و إلى ما للعرب فيه لغات و اقتصروا على أساسها وأشرافها ، كما رأيتهم يختصرون ألفاظ "الطويل" ، فإنهم وجدوا للعرب فيه نحوا من ستين لفظا أكثرها بشع شنع :كالعشنط والعنطنط ،الجشرب،الشوقب و الشوذب و الشلهب ...

فنبذوا جميع ذلك و تركوه و اكتفوا بالطويل لخفته على اللسان و قلة نبو السمع عنه... ›› من الجديد بالذكر أن الحديث عن " الغريب والرصانة والجزالة" قد اعتبره بعض الدارسين على كونه صفات طبيعية في بعض الألفاظ كما أنه من الواجب توجيه العناية إلى الجانب الفني المهمل ، بدلا من الجوانب الاجتماعية و السياسية.1

عبد القادر القط ، في الشعر الإسلامي والأموي ، دار النهضة العربية ،1987 (1)

بيروت ـص29،28،27. بتصرف

...و الحق أن من أهم التطور في الشعر العربي حينذاك تبلور تلك اللغة الإسلامية الحضرية بأساليبها وألفاظها بعد أن مرت بمراحل من التطور التدريجي بدأت في تلك المرحلة التي ندرسها ثم اتضحت معالمها في العصر الأموي..."1

ب الصورة الفنية:

"إن مفهوم الصورة الفنية مفهوم نقدي أدركه الشعراء العرب على مختلف عصورهم فقاسموا جمال أشعارهم من خلال نظرتهم إلى الصورة الأدبية و الفنية،و لقد اتفق العلماء على أن الصورة الفنية هي جوهر الشعر و أداته و بدراستها يتمكن الأديب الناقد من النفوذ إلى أغوار البنية الشعرية فيتذوق جمال كلماته و ألفاظها بل ويعيش ضمن تجربة الشاعر دون ملل أو حيرة".2

أما عن مصادر الصورة الفنية في شعر صدر الإسلامي فنجدها تنبعث من ثلاث مصادر أساسية أولها الدين الإسلامي الذي يعتبر أهم مصدر للمعرفة نتيجة أثره في القلوب مما انعكس على جميع شؤون حياة المسلمين . و من أمثلة ذلك نورد قول "سعيد بن عامر " في طريقه إلى الشام :

نسير بجيش من رجال أعــــــزة على كل عجاج من الخيل يصبر

إلى شبل جراح وصحب نبينا لننصره والله لــلديـــــــــــــــــــــن ناصــــــــــــر

على كل كفار لعين معانــــــــــــد تراه على الصلبان بالله يــــــــــــــكفـــــــر

و يتضح من خلال الأشعار السابقة تأثر الشاعر بالقرآن الكريم ، فهو على يقين تام بوعد الله سبحان و تعالى لعباده بالتمكين و الغلبة ،

قال تعالى:" كتب الله لأغلبّن أنا و رسلي إن الله قوي عزيز".

أما المصدر الثاني فهو الشعر، فنجد أن الشعراء قد نهلوا من مكتسباتهم القبلية و خبرتهم في الحياة و طبيعة بيئتهم ، حيث كان لتصويرات الأشعار التي سبقتهم و تشبيهاتها و معانيها أثر كبير في أشعارهم.

من المرجع السابق ، ص 29.(1)

(2)يحي رمضان عبن، الصورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ص 02.

لقد عرف عن القصيدة الجاهلية أنها متعددة الأغراض ، فلها قالب معين يسير عليه الشعراء الجاهليون ، حيث كانوا يستهلون قصائدهم بالغزل و البكاء على الأطلال ، ثم يذكرون أحوالهم و الأغراض الأخرى التي تقال فيها القصيدة " 1 و مثال ذلك ، قول القعقاع بن عمرو :

مازلت خيل العرب تدوسهم في يوم فحل والقنا موار

و قد كان من عادة الشعراء عند ذكرهم القنا و السلاح يذكرونها في يد فارس على جواد سريع و قوي و شجاع و منه قول المهلهل بن ربيعة :

ورجعنا نجدي القنا في ضمر مثل الذباب سريعة الأقدام

أما المصدر الأخير فهو البيئة إذ تعد البيئة من أهم المصادر التي تعين الشاعر على الاستفادة من التجارب الإنسانية التي تحدث في رحاها ،و هو ما تنبه إليه الكثير من العلماء القدامى و المحدثيـــن "2.

و من أمثلة ذلك ذكــر عــدة الحرب كالسيف و الرمح ،الترس..... و وصف الخيل و الإبل ، ذكر السمـاء و الرياح ، ذكر الأرض و ما فيها .

" و من خلال ما سبق ظهـر للباحث إن الطبيعة الصامــــتة و الحية ، قد ساهمت أسهاما كبيرا في توليــــد الأشعار ...... فكانت مواد الطبيعة خير معين لهم على تسجـــــيل هذا التاريخ الحافــــل بالبطولات و الأمجاد العربــــــــيـــة ".

من المرجع السابق ،ص 38،39.(1)

نفس المرجع ،ص 49،50،70.(2)

**المبحث الثاني : البناء الفنـــي الخـــــارجــــي للقصـــيــــــدة**

**المطلب الأول : الشـــــكــــل**

تغير شكل القصيدة في صدر الإسلام عما كان عليه في الجاهلية ، فاختفت في أغلب القصائد تلك المقدمات على اختلافها طللية كانت أو غزلية ، التي كان يلتزم بها الشعراء و لم يكن هذا التحول و التغير الذي طرأ على القصيدة العربية وليد يوم و ليلة ، و إنما استغرق زمنا حتى بدت معالمه واضحة ،لان القرن الأول الهجري كان بمثابة المحصلة المشتركة التي استطاعت فيها معالم الحياة العربية أن تتكيف و يتضح معدنها حتى أصبح بإمكاننا أن نحدد بوادر التجديد في البناء الفني للقصيدة ، فهاهو "حسان بن ثابت " يدعوا إلى ترك هذا التقليد الشعري فقال : فدع الديار وذكر كل خريدة بيضاء آنسة الحديث كعاب

و لعل سبب تخلي الشعراء المخضرمين عن التقليد الطللي في القصيدة يعود إلى كون شعرهم في أغلبه مقطوعات ، إذا استثنينا الدواوين ، فلم يكن من المنطقي الابتداء في مقطوعة لم تتجاوز العشرين بيتا ، فكان الشعراء يقصدون غرضهم مباشرة فنجد أن المطلع الإسلامي قد تخلص من هذه التقاليد الموروثة بسبب ظروف العصر التي اقتضت الإرتجال و الرد السريع.

فالشاعر المخضرم وجد نفسه مطالبه بسرعة الرد في المواقف التي تقتضي الدفاع عن رسول الله – صل الله عليه وسلم – و المسلمين ، فلا يمكن أن يقاوم تلك التيارات الجارفة من المعاني و الأفكار و لا تستطيع نفسه إرجاءها بمقدمات قد لا تتلاءم مع المقام .

فاستبدلوا تلك المقدمات أحيانا بمقدمات دينية جديدة كان بدايتها في هذا العصر، ثم كثرت و شاعت في العصر الأموي ،كما أننا نجد في مقابل ذلك التزام الشعراء الذين أصروا على دين آبائهم بعمود الشعر كما في جاهليتهم.

كما أن السمة الغالبة عليه هي القصر، و هذا ما يتضح جليا إذا ما قارنا الشعر الجاهلي و الإسلامي للشعراء المخضرمين ، فهذا حسان بن ثابت – رضي الله عنه – كانت له تسع قصائد قصيرة في الجاهلية ، أما في الإسلام فقد قاربت الثلاث و الثمانين قصيدة قصيرة عدد أبياتها عشرون بيت فما دون .

كما أنه من الملاحظ أن معظم القصائد قد استهلت بلفظ "أبلغ "لطبيعة الجدل الذي سيطر على تلك الفترة ، فنجد في ديوان "كعب بن مالك" عشرات القصائد التي تبتدئ بهذا اللفظ: أبلغ أبيا أنه قال رأيه وحان غداة الشعب والحين واقع

**المطلب الثاني: الوزن و القافـــية**

يعتبر الوزن والقافية العلامة المميزة للشعر على النثر ، و لما كان الوزن أهم عناصر الشعر فلابد من التحدث عن البحور الشعرية التي استعملها المخضرمون ، و عند الدراسة اتضح أن البحور الأكثر استعمالا عند المخضرمين هي خمسة فقط و هي :

1 – الهــــــــــــــــــــــــزج

2 – المضـــــــــــــــــــــــــارع

3 – المقتـــــــــــــــــــضب

4 – المــــــــــــــــــــجتث

5 – المـــــــــــــــتدارك

و أما البحور الباقية فقد وردت في أشعارهم بنسب متفاوتة .

القافية : ركن من أركان القصيدة الشعرية ، يعرفها الفراهيدي بأنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الساكن الذي قبله... - لم يستعمل الشعراء في صدر الإسلام كل الحروف في قوافيهم ، حيث قسمت القوافي إلى :قوافي التذلل :"الراء ،الباء ،الدال ،النون ، الميم ، العين " فحظي الراء و الميم بأكبر نسبة استعمال عند الشعراء المخضرمين ، ففي الراء مثلا يقول "كعب بن زهير ": ورثوا المكارم كابرا عن كابر إن خيارهم بنو الأخيار

و من قافية الميم يقول "حسان ":

ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم تعل غروبها سجام

و لم ينظموا في قوافي الحوش :" التاء ، الخاء ، ذال ، سين ، طاء ، غين "

و أما قوافي النفر :الزاي ، الضاد ، الصاد ، الهاء ، الواو .

فقد تباينت نسبتهما في استعمالات شعراء صدر الإسلام إلا أنها كانت قليلة جدا .